

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق والأخلاق والآداب



خطبة الوقافون عند آيات الله (1)

الشيخ إسماعيل بن عبدالرحمن الرسيني

[مقالات متعلقة](#)

تاريخ الإضافة: 10/10/2023 ميلادي - 25/3/1445 هجري

الزيارات: 3678



خطبة الوقافون عند آيات الله (1)

عباد الله، أنزل الله القرآن على القلوب ليؤثر فيها فتتحرك لتعظيم ربها وأمره فتتمثل الأمر وتجتنب النهي، فالقرآن أنزله الله هداية وبشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192 - 195].

فمن عمل به رشد، ومن تكبر عن أمره ونهيه هلك، وبقدر تعظيم النصوص والعمل بها قلة وكثرة تكون منزلة العبد عند ربه، فإله أنزل كتابه نوراً يهتدي به المؤمنون فينير دروبهم ويعلمون به أمر ربهم، فما حالنا مع كتاب ربنا؟ هل كان لنا هادياً ودليلاً وبرهاناً أم هجرنا قراءته وتعلمه وتدبره، لقد كان من هدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه، كنا لا نتجاوز العشر آيات حتى نتعلمها فتعلمنا العلم والعمل مغاً، وأتى رجل لابن مسعود، فقال له: اعهدي إليّ، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعيها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه.

والقرآن ناطق بالمعجزات والبراهين على مَرِّ السنين، قال جل جلاله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، ولقد جعل الله لكل أحد دليلاً عليه، فمنهم من آمن، فلزم واستقام، ومنهم من أعرض وسيندم، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

عباد الله، إن كلام ربنا نور يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، فاهتدوا بهدي القرآن والسنة، واستمسكوا بأمرهما، ففيهما النجاة في الدنيا والآخرة.

من تأمل في كلام الله وجد له أثراً عظيماً، فلقد أثر القرآن أثراً بالغاً فيمن أنزل عليه وهو رسولنا صلى الله عليه وسلم فيتأثر في سلوكه وتصرفاته، فكان قرآنًا يمشي على الأرض، يقرأ القرآن فيتأثر به ويكي، وكذا حين يقرأ عليه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليّ"، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل! قال: "فإني أحب أن أسمعه من غيري"، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] قال: "أمسك" فإذا عيناه تذرفان؛ أخرجه البخاري.

فهل أثر القرآن في نفوسنا فوقفنا عند آياته وعملنا بأحكامه.

ولقد أُنزل القرآن في الملائكة فتنزلت لتستمع إليه، فتجتمع ملائكة النهار وملائكة الليل في صلاة الفجر لتستمع القرآن؛ ولذا تستحب إطالة القراءة في صلاة الفجر، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسُ إِلَى عَسْفِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ {الإسراء: 78}.

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مزبده إذ جالت فرسه، فقرا، ثم جالت أخرى، فقرا ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقممت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله: "اقرأ ابن حضير"، قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ ابن حضير"، قال: فانصرفت وكان يحيى قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تلك الملائكة كانت تسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم"؛ رواه مسلم.

ولقد أثر القرآن في الجن فآمنوا، ودعوا قومهم وأنذروهم من مخالفة أمر الله لما سمعوا من عظمة هذا القرآن، فلقد سمعوا ما لا تطيق أنفسهم السكوت عنه، أو التلذذ في إبلاغه والإنذار به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: 29 - 32].

ما أعظم بلاغة القرآن! وما أعظم أثره في الإنس والجن والملائكة! فهل أثر القرآن في نفوسنا فوقنا عند آياته وعملنا بأحكامه.

عباد الله، لقد بلغ تأثير القرآن مبلغًا على كُفَّار قريش وعلموا عظمة القرآن وعلو منزلته، فمنهم من آمن فسعد، ومنهم من تكبر وعاند، ولما علموا من عظم أثره، نهوا الناس عن الاستماع له، قال تعالى: **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ }** [فصلت: 26].

ولعظيم أثر القرآن ولذيد خطابه لا سيّما لأهل البلاغة والفصاحة، فلقد كان سادات قریش، ومنهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريف كانوا يتسلّلون فيجلسون في مجلس يستمعون فيه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يرى بعضهم بعضاً فيتعاهدوا ألا يأتوا مرة أخرى، فينكث كل منهم موعده، فيأتي ليستمع ولكن منعهم الكُبر من الإسلام.

وهذا عتبة بن ربيعة حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أوائل سورة فصّلت تأثّر وسأل الرسول بالرحم أن يوقف قراءته، فرجع إلى قريش وقال: إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ.

أثر القرآن في أقوام فأسلموا، فهذا جبير بن مطعم بن عدي بعد وقعة بدر في فداء الأسارى وكان إذ ذاك مشركاً، وكان سماعه لآيات من سورة الطور سبباً في إسلامه، فلقد قرأ رسول الله حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ خَلِيقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ﴾ { الطور: 35 - 37 } يقول: كاد عقلي أن يطير.

وتستمر السنوات تَلُو السنوات ولا يزال القرآن باعثًا لدخول الناس في الإسلام، فلقد انبرى أستاذ في المنطق والرياضيات للقرآن لينقده نقدًا لاذعًا منطقيًا ليقدم خدمة للكنيسة، فماذا وإلى أي شيء قادته تلك الرؤيا.

فيقول: لقد استفزنتني لغة التحدي في القرآن ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82] وآيات أخرى تتحدى أن يؤتى بمثله أو عشر سور أو سورة أو آية ولم يتقدم بلغاء العرب وفصحاؤهم للإتيان بمثله؛ مما أثار عندي التحدي لنفذه، فانظروا إلى أي شيء قادته رؤيته:

